ثم قالت هذا جزاء الوفيه بعد صبر ولوعة وثبات
أنني قد رأيت في ذبح القضيه للعذارى ابهى واسمى العظات
كم فتى يستحل قهر البنيه ؟؟ فعليها يا قوم ان تحذر
ثم سارت هذه الفتاة التقيه نحو دير تقضي الحياة بزهد
وسريعاً ذاقت كؤوس المنيه عقب ما قد فاسته من حرٍ وجدٍ
لو درى الشاب ما جرى بالبهيه كان يبكي في القبر ايضاً وبعد
اذ جنى الذنب في هلاك الصبيه وضيع الفتى عن الظلم أسفر
« لو درى ذنبه العظيم لأجرى دمعة فوق وجهه الخجلانِ »
او درى ان قد خار عهداً لعذرا « ولقد داس اعظم الايمان »
« او درى ان البنت اوسع صدرا وصبورٌ في القرب والهجران »
« خبروا ان البنت بالعهد احرى ان احبت وحبها غير فانِ »
« كثر العهد في الحسانِ فعذرا » ان ذكرنا البرهان والحقُ يظهر

رواية الحسناء

فصل السبع

تابع صفحة ٣٩٩

ابتعد الامير عقيب ان هدأ روعها واستراحا قليلاً تحت اغتان شجرة هنالك سارحا بين الاشجار بغية الصيد ووقفت الاميرة مكانها هنيهة تناجي بالروح من ابتعد عنها بالجسد. ظلت تتبعه بالنظر حتى توارى عنها فمشت تاركة رداءها قرب الجوادين مشت وافكار الحب الحقيقي الحلوة تحفها كالاجناد. شاقها منظر الطبيعة فداومت المسير ولم تنتبه الا وهي قرب مغارة في تلك البيداء تبعد كثيراً عن مقرها الاول فدخلت المغارة وجلست ريثما تستريح فتعود من حيث اتت وتخشع بصفوة حياتها وهنائها الوحيد في الدنيا . جلست ولم يخطر لها ما سطر لها في صفحة المقدور !!

ما أستقر بها الجلوس حتى دوت الوادي بزئير أسد خرج من غيله فارتعشت الغادة رهبة من ذلك الصوت الهائل « واخذتها قشعريرة لم تدر مصدر اتصالها » مشى ملك السباع في

تلك الساعة والرعب سائر حوله كالحدم مشى وقد درت الارض بقوة من خطا فوق وجهها فكادت تخفق و يسمع حركة خفقانها كنبضات القلب اليائس . خطر باحثاً عن فريسة في سكون الظلام الدامس ولم تكن الا برهة حتى وصل به سيره حيث الجوادان فاصابهما غيمة باردة ووثب عليها واقترسهما غير تارك منهما ما يخبر بأثر ثم انعطف نحو الرداء فمزقه ببرائنه المخضبة بالدماء تمزيقاً وتركه خرقاً ملونة وآب يتهيأ راجعاً الى عرينه بعد ما ملأ جوفه واكتفى غير مكترث بما يستنتج عما جنت يداه الاثيمتان . . .

جالسة في الاميرة على الصخر لم تبرح مكانها ولكنها غارقة في بحر مضطرب من الافكار تتلاطم فيه امواج التصورات المرتفعة تارة بتمثل ما يثلج له الصدر و يبتسم الثغر والمنخفضة اخرى بخطرات ترتعش منها الاعضاء فتضطرب . يمرّ بها النسيم اللطيف فيحمل منها الذكرى والحنين وتألم الفراق لأيامها السابقة قبل ان تكلك روحها بشعلة الحب المقدسة يوم كانت تمرح بين اترابها والاهل وما امر الحياة اذا اعتأت بداء الفراق المتواصل . يعود النسيم فيرجع معه كل هذه التخيلات التي يهزم جيشها بطل ساعتها فكر اللقاء بمن هو زهرة الوجود بعينها . فكر هو سميرها الوحيد في وحشة انفرادها . فكر عندما يتجلى لها على ظهور السعادة ثمرة تعارف الارواح تخشع امامه افكار العالم

الاميرة على تلك الحال وحبيب ذات الخدر في عرض الفلاة راجعاً من صيده يبغي لقاءها فلم يرَ سوى رداء مخضب بالدم معفر بالثرى و بقية عظام مهشمة فأجفل ارتد الى الوراء . وقد اضحى جسمه شعلة نار لعبت بها ارياح الجزع واليأس وطلب الموت . واقترب من الرداء جاثياً على ركبتيه وكل تصوره ان وحشاً ضارياً افترس ملاكه الحبيب الرهيب سائدة الدمع مترفرق الحزن مخيم القنوط من الحياة راصد والموت قائدهم ينتظر الساعة

ما اتعس الانسان عندما تطرحه الظروف تحت مواطئ البؤس والشقاء . بقي الامير فاقد الرشد وقد كادت حشاشته تخرج من عينيه الناقرتين من وجهه العصفرى لذلك المنظر الهائل والتصور المؤلم

ابتعد الامير قليلاً ولسانه يتلجلج في فمه — لا لا ان انفصالك عني لاشد من انفصال الروح عن جسدها ! قالى العدم الى هاوية العدم لاقذف بروحي . . . ! وهل من حياة ارتجي منها سعادة بعد فقدك ايتها العاطفة الروحية ! فقد اعدامامي ظلمة المستقبل المخيف ! قال ذلك وانتضى مدية اغمدها في صدره لفظ معها الروح والكلمة الاخيرة — اتخذت حب الموت ديناً بعدك ! !

الامير فاقد الحياة مجتدل عَلَى التراب مضرج بدمه والاميرة سائرة الهوينا تقصده وما وصلت اليه حتى ذعرت وانتفضت كما العصفور بلله القطر فاقتم نور البدر في عينها ووقفت رافعة يديها نحو السماء مأخوذة بالروح شاردة الحواس كأنها في نزاع مرعب ! ! !

اقتربت بلهفة من الجثة لحظتها لحظة حب وحنو كادت تخرج معها الروح مغموراً واتحت تقبل ناظريه بكل احترام وسكينة ! !

(نصيبك يا نفسي ظلمة القبر فلا تطمعي بالنور بعد حبيبك) خرجت هذه العبارة من فمها بصوت تتموج في مقاطعه معاني الجزع واليأس ! !

بصدر مظلم وقلب منسحق وهيئة منقبضة ونظرات موجومة تتبعث من عينين حزينتين كانت تلك الاميرة المفقودة تخاطب نفسها « هيهات لم يقدر لي حبور في بقعة من هذا المعمور بعد فقدي من لمست الحياة بوجوده بل وخرفت حجب سعادة المستقبل بنور الامل في قربه !

الى اين انت ذاهب ايها الحبيب أتترك من تركت علة وجودها واعز من في الدنيا بعدك عليها حباً بالبقاء بقربك . .

مات الحبيب فلا عطر بعد عروس) نهضت كالثمر مذعورة من القنوط غير ناظرة الاَّ لمرافقة من اخلصت له واخلص لها فاختطفت المدية من صدر حبيبها لتقطر من دمه الممزوج بحبها في جام قلبها شعور حب خالد لقدسه الحقيقة كسجل راسخ عَلَى ضمائر الاجيال تحفظه للانسانية نظاماً . واغمدتها في صدرها بقوة تركت المدية تنفذ من ظهرها فوقعت وجهاً لوجه فوق حبيبها ! ! !

حبيبان بعد الموت يقترنان . في هذا الو ط التعيس ولداونشئا في هذا المحيط المنحط . جاهدا في محاربة العادات والتقاليد ليحررا عواطفهما من جور البشرية فافضى بهما الامر الى الانتحار اذ قدر لهما ان لا يجدا سبيلا الى الراحة بين الاحياء فكان التراب الذي عادا اليه اوأف بهما من الانسان ! !

شر يف هو الحب الحقيقي الساطع منه الاخلاص والوفاء الذي هل شيء في سبيله كلاشيء .

الحبيبان عَلَى تلك الحال والاسد عائد بتبختر قاده طمعه الى ان يستأنف البحث عن فريسة جديدة فقادته التقادير الى ذات المقام فاول ما وقع نظره عَلَى راس المدية البارز من ظهر الاميرة مغموساً بالدم فتقدم من الجثتين ودون ان يعي فغرفاه فصد ابتلاع ذات الحدين الظاهرة كقطعة لحم فقطعت له عرق الوريد بلا تعب ولم يكن الا برهة حتى وقع الاسد فوقهما شهيد طمعه . . .